ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

رحلتي إلى المغرب الأقصى- أكتوبر 2018م
My Trip to Morocco, October 2018

أ.د عبد القادر خليفي صص246- 267
Pr . KHELIFI Abdelkader
أستاذ التّعليم العالي، قسم: التّاريخ وعلم الآثار،
كليّة العلوم الإنسانيّة والعلوم الإسلاميّة- جامعة وهران1 أحمد بن بلة- (الجزائر)
Khelifi.abd2009@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2019/01/28، تاريخ المراجعة: 2019/02/11، تاريخ القبول: 2019/02/13.

ملخص: يدور موضوع المقال حول رحلتي الأخيرة التي قمت بها إلى المغرب الأقصى في شهر أكتوبر من سنة 2018م، حيث دوّنْتُ فيها مشاهداتي هذه المرّة، وفي رحلاتي السّابقة بوصْفِ المآثر الطبيعيّة والتّاريخيّة، وعبّرتُ عن شعوري تجاه البلد الشّقيق، وتحدثْت عن لقاءاتي مع الأساتذة المغاربة في الحال وفي السّابق، وعن مطالعاتي حول تاريخ المغرب والجزائر من خلال تاريخ كلّ دولة حينا، ومن خلال التّاريخ المشترك حينا آخر. من ذلك أنّي تحدثت عن الجامعات المغربيّة، وعن بعض المراكز العلميّة كجامع وجامعة القيروان، مؤسّسة الملك عبد العزيز آل سعود للدّراسات الإسلاميّة والعلوم الإنسانيّة، مديريّة الوثائق المَلَكيّة، ومعهد الدّراسات المصطلحيّة؛ وذكرت المكتبات التي زرتها، والمدن التي أقمت به كالرّباط والدّار البيضاء ومراكش، كما تحدثت عن فاس التي زرتها في السّابق عدّة مرّات. وتعرضت للنّدوات والملتقيات العلميّة التي حضرتها.

الكلمات المفتاحيّة: جامع؛ جامعة؛ مراكز علميّة؛ المغرب؛ الرّباط؛ فاس؛ مراكش؛ المكتبات.

***Abstract**: The subject of the article revolves around my last trip to Morocco in October 2018, where I recorded my observations this time and during my previous trips. I described the natural and historical exploits, expressing my feelings towards the host country, and talked about my meetings with Moroccan teachers right now and in the past. I also mentioned my readings on the history of Morocco and Algeria through the history of each country sometimes, and through the common history another time. I spoke about Moroccan universities and some scientific centers such as the University of Kairouan, the King Abdul Aziz Al Saud Foundation for Islamic Studies and Humanities, the Directorate of*

Royal Documents and the Institute of Terminology Studies. I visited libraries, I crossed the cities of Rabat, Casablanca and Marrakesh, and spoke of Fes that I visited several times before. And attended the symposiums and I attended scientific meetings.

***Keywords**: Mosque ; University ; Science centers; Morocco ; Rabat; Fes; Marrakech ; Librari*

مقدمة: كانت رحلتي هذه المرّة نحو المغرب الأقصى، البلد الشّقيق المجاور لنا غربا، لن تشعر أبدا بأنّك غريب عندما تزور البلاد المغربيّة، أو التّونسيّة؛ فالبلدان المغاربيّة تتميز بخصائص متشابهة؛ سواء كان هذا عند الإنسان بخصائصه الفيسيولوجيّة، أو بسلوكيّاته، أو بلباسه وأكله وشربه، إلاّ فيما ندر من الحالات. فإذا نزلت في أيّ بلد من هذه المجموعة تشعر كأنّك في بلدك الأصلي. فسُحنة النّاس ومساكنهم وشوارعهم بمحتوياتها، والعادات والتّقاليد المؤثرة على سلوكيّات النّاس واحدة، ولن تشعر بأنّك فعلا في بلد مجاور إلا إذا تفوه الشّخص الذي هو أمامك بحديث ذا صياغة محليّة، فالتّونسي لا تشعر بأنّه تونسي إلاّ عندما يتفوه بكلام ذا صياغة محليّة، أو بعبارات وكلمات محدّدة(بَرْشَة- تَوَّا- باهي ياسَرْ....). والمغربي لا تعرف أنّه مغربي إلاّ عندما ينطق بعبارات وصياغة شفاهيّة محدّدة، تستعمل في الكلام اليومي(دابَه-بْحالْ بْحالْ- بْحالاش- دَغْيَا- الشرجَمْ....). والأمر نفسه عند الجزائري واللّيبي وبشيء من ذلك عند الموريتاني.

سافرت مرّات عديدة إلى المغرب الأقصى في إطار التّربص القصير المدى، زرت خلالها مدن الدّار البيضاء- الرّباط- فاس- مكناس- مراكش- تطوان، وزرت –في رحلات سياحيّة شخصيّة- إضافة إلى ما ذكرناه، مدنا أخرى كوجدة والسّعيديّة وطنجة وعين بني مطهر، وعشت زمنا في بلدة تندرارة بالجنوب الشّرقي المغربي[1].

سافرت في هذه الرّحلات منفردا حينا ومصاحَبا من بعض الزملاء حينا أخرى، منهم: الأستاذ بوباية عبد القادر، من جامعة وهران- بوداود عبيد من جامعة معسكر- بلبوري سيد أحمد هذه المرّة. كنت أفضل السّفر في شهري مارس، أو أبريل للقيام بالتّربص بسبب طول النّهار واعتدال الجو، ممّا يساعد على قضاء المصالح في متسع من الوقت؛ إلاّ أنّ الجهات الوصيّة أصّرت –هذه المرّة- على أن يُجرى التّربص قبل نهاية السّنة الميلاديّة الجاريّة، ولهذا قرّرت زيارة المغرب في شهر أكتوبر من سنة

2018م، وقد أكدت التّعليمات على أن يقضي المتربص المدّة المقرّرة قانونا كاملة غير منقوصة، وإلاّ أُجْبر على إعادة القيمة الماليّة المخصّصة للأيّام التي لم يكملها. حجزت تذكرة الطائرة نحو مدينة الدّار البيضاء المغربيّة –وهو الاتّجاه الوحيد الرّسمي نحو المغرب في هذا الوقت- ليوم 15 من الشّهر المذكور على أن تكون العودة يوم 25 منه.

سأكتب هذه المرّة عن رحلتي الأخيرة إلى المغرب الأقصى، ولن أتّتبع مشاهداتي عبر تسلسل أيّام الرّحلة تاريخيا؛ بل سأغتنم كلّ زيارة لموقع ما في مدينة ما؛ لكي أتّتبع مجمل المآثر الموجودة في المدينة المعنيّة، لأنتقل مع رحلتي إلى مكان آخر لأذكر مآثر المدينة الثّانيّة بمجملها، وإذا ما عدت إلى المكان نفسه ثانيّة فلن أتوسّع في الحديث عنه، ولن أكتفي بالحديث عمّا قمت به هذه المرّة في المغرب؛ بل سأغتنم الفرصة للحديث عن بعض سفرياتي السّابقة لهذا البلد الشّقيق.

اتّصل بي الزّميل في العمل سيد أحمد بلبوري وطلب منّي المرافقة، فقبلت استئناسا بالقول المأثور: "الرّفيق قبل الطريق" أقلعَتْ بنا الطائرة في السّاعة الثّانيّة وعشرين دقيقة من زوال اليوم المذكور من مطار وهران-أحمد بن بلّة. كان الجو صحوا ممّا سيسهل الحركة إذا ما استمرّ على هذا الحال هناك في المغرب، وبعد حوالي ساعة ونصف حطّت بنا طائرة الخطوط الجويّة الجزائريّة في مطار محمّد الخامس بالدّار البيضاء، وحيث كان الجو صحوا أيضا.

<u>في مدينة الدّار البيضاء:</u>

1- في المطار: توقفت بنا الطائرة بعيدا في أحد أركان المطار، فحملتنا الحافلة نحو مقرّ تجمع المسافرين، كنّا في السّابق نلج المطار من باب الطائرة مباشرة إلى تجويف يوصلنا إلى الطابق الثّاني من المطار نفسه. قد يعود هذا التّغيّير إلى تزاحم المسافرين الذين يحلّون بالمدينة من جهات عديدة من بقاع العالم على تلك التّجاويف التي يدخلون عبرها نحو المطار.

مررنا بشبابيك رجال الأمن الذين يراقبون وثائق المسافرين الأجانب، كان طلب عون الأمن الذي قابلني في الشّباك -بعد إطّلاعه على الوثائق- هو تحديد مكان الإقامة بالمغرب في الوثيقة المطلوب ملأها عند الدّخول إلى التّراب المغربي. لم أتذكر سوى فندق دي فوكو بالدّار البيضاء(لأنّ الاسم يذكرني بذلك الأب الكاثوليكي الذي

استوطن بلاد الهُغار في مطلع القرن العشرين ومات هناك)، فسجلته على الوثيقة ومررت بسلام.

اجتزنا الحاجز الأمني واتّجهنا إلى مقرّ الصّرف لنحول الأورو إلى درهم مغربي، ومن المطار ركبنا القطار المتّجه إلى مدينة الدّار البيضاء بالمحطّة النّهائيّة (Casa Port)، وبعد حوالي السّاعة وصلنا المحطّة، ومنها اتّجهنا صوب الفندق (مررنا بفندق دي فوكو لكننا لم نرتح له)، فقصدنا فندق التّجار(Hôtel négociant)، وهو يقع بزنقة علال بن عبد الله، الشّارع نفسه الذي يقع فيه مقرّ الخطوط الجويّة الجزائريّة بوسط مدينة الدّار البيضاء. أقمنا في إحدى غرف الطابق الأول، وكانت تحتوي على سريرين وجهاز تلفاز به كلّ القنوات. استرحنا قليلا، ثمّ خرجنا في جولة قصيرة، تناولنا أثناءها وجبة العشاء في أحد مطاعم المدينة، وعدنا لنستريح أول ليلة في مدينة الدّار البيضاء، ولن نمرّ على هذه المدينة الاقتصاديّة دون ذكر البعض من مآثرها:

2-المدينة القديمة: كان اليوم الموالي لوصولنا إلى المغرب هو يوم الثّلاثاء 16 أكتوبر، قمنا بجولة سياحيّة في المدينة القديمة، وهي غير بعيدة عن الفندق الذي حجزنا فيه من أجل الإقامة، وهي تعرف أحيانا بباب مراكش. تحوي سوقا شعبيّة بها منتجات تقليديّة فخاريّة وجلديّة وأنواعا من الحلّي الذّهبيّة والفضيّة، وألبسة لمختلف الفئات والأعمار. وفيها سوق الفواكه والخضر التي تستولي على جزء كبير من أزقة المدينة الضّيقة والملتويّة. تجاورها المساكن المبنيّة على طراز مغربي- أندلسي، تجلب إليها السّياح الأجانب من كلّ صوب، والذين تعجّ بهم الشّوارع والسّاحات، يمشون جماعات حينا وأزواجا حينا آخر.

تعتبر المدينة القديمة الواقعة بالقرب من ميناء الدّار البيضاء ومحطّة القطار (Casa Port) ذات تاريخ عريق، بها بنايات قديمة ومساجد صغيرة منتشرة هنا وهناك. يحيط بها سور تتواجد به أبواب كانت في السّابق ذات أهميّة إستراتيجيّة، لم يبق منها اليوم إلاّ القليل، أشهرها باب مراكش المشرف على المدينة الحديثة، والذي يدعى اليوم بـ "سوق باب مراكش". يمرّ بالقرب منها التّرامواي غير بعيد عن فندق حياة رجنسي بشارع الحسن الثّاني.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

تعتبر الدّار البيضاء كبرى مدن المملكة المغربيّة، وهي المدينة الاقتصاديّة التي تعجّ بالسّلع والبضائع في مختلف أسواقها ومتاجرها المتعدّدة. وتقع جنوب الرّباط على مسافة 95 كم على ساحل المحيط الأطلنطي. من معالم الدّار البيضاء التي زرتها حاليا أو سابقا أذكر ما يلي:

3-مسجد الحسن الثّاني: يقع المسجد على ساحل مدينة الدّار البيضاء. أُكمل بناؤه في 30 أوت 1993م في عهد الملك الحسن الثّاني. صمّم من قبل المهندس المعماري الفرنسي "ميشال بينسو". يشتمل على مجمع ثقافي يتكون من قاعة للصلاة، ضخمة وشاهقة عموديا وأفقيا، ومن مدرسة قرآنيّة ومكتبة ومتحف. تغطيّ أطرافه المختلفة بزخارف الزّليج وفسيفساء الخزف. له خصوصيات حديثة كالسّطح الذي يفتح ويغلق آليا... يتسع لـ 25.000 مصل في القاعة ولـ 80.000 مصل في الباحة، زرته مرارا في الرّحلات السّابقة[2].

4-مؤسّسة الملك عبد العزيز آل سعود للدّراسات الإسلاميّة والعلوم الإنسانيّة تقع هذه المؤسّسة في زنقة المرجان بحي عين الذّياب بالدّار البيضاء، وهي تحتوي على جامع ومكتبة. للوصول إليها تستقلّ طاكسي صغير أو طاكسي جماعي عين الذّياب، وموقفها غير بعيد عن فندق ريجانسي بوسط المدينة.

أوقات عمل المؤسّسة: -من الاثنين إلى الجمعة: 9 صباحا-7 مساء. -السّبت: 10,30 حتّى السّاعة 6 مساء، وهي تتعطّل أيّام الآحاد. جاء في إحدى مطبوعات المؤسّسة أنّها افتُتحت في 11 جويلية 1985م في عهد الملك السّعودي عبد الله بن عبد العزيز، وهي مؤسّسة توثيقيّة علميّة وثقافيّة. تعمل على خدمة البحث العلمي في مجال العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة والدّراسات الإسلاميّة. تشتغل المؤسّسة ضمن المحاور التّالية:

أ-**مكتبة متخصّصة في خدمة البحث العلمي**: تتوفر على ما يزيد عن 640.000 مجلّد وحدة توثيقيّة.

ب-**مركز توثيق وإعلام بيبليوغرافي**: يتوفر على بنك معلومات رهن إشارة رواد موقع المؤسّسة.

ج-**فضاء للنّشاط العلمي:** (ندوات، مؤتمرات...)، كما طرحت المؤسّسة مؤخرا مشروعا لنشر الأطروحات والرّسائل الجامعيّة لدعم الباحثين الشّباب[3].

زرت المؤسّسة للمرّة الثّانيّة يوم الاثنين 22 أكتوبر السّاعة التّاسعة صباحا، بعد أن كنت قد زرتها وبرفقتي الأستاذ: عبد القادر بوباية في إحدى السّنوات الماضيّة. اتصلت بموظف الاستقبال الذي أخبرني عن أسعار الاشتراك الشّهري(...) واليومي(30 درهما)، كما أمدّني بمطبوعة للتّعريف بالمؤسّسة، واطّلعت على ملصقة عند مكتب الاستقبال تبلغ فيها المؤسّسة روادَها أنّها لا تسلم أيّ وثيقة تخصّ حضور الشّخص إليها من الطلبة والباحثين أو من غيرهم. والإعلان يعني الباحثين الجزائريّين بالأخصّ، لأنّ مؤسّساتنا الجزائريّة كانت تطلب من الأساتذة المتربصين إمضاء وثيقة سريان التّربص في البلد المُزار، وهذا دون أن تكون هناك فيما يمكن وصفه باتفاقيّة علميّة بين البلدين. وهو ما كان يُحرج إدارة البلد المستقبل والباحث المسكين في الوقت نفسه.

5-جامعة الحسن الثّاني: تأسّست في السّبعينيات من القرن العشرين في عهد الملك الحسن الثّاني، تتكون من ثمانيّة عشر كليّة ومدرسة، تتوزع بين كلّ من مدينتي الدّار البيضاء والمحمديّة. أمّا كليّة الآداب فيها فهي تتوزع بين بن مْسيك وعين الشّق:

أ-كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بن مْسيك: زرناها يوم 16 أكتوبر مساء، وبن مسيك هي إحدى عمالات مقاطعات الدّار البيضاء، وتضمّ مقاطعتين: أ-مقاطعة بن مسيك. ب- مقاطعة سباتة. لم نلتق برئيسة الشّعبة لغيابها. مررت وزميلي بمكتبة أحد المختبرات اقتنيت منه أحد كتب الرّحلة موضوعه: "إقامتي الأولى في المغرب" لغيرهارد غولفس، ترجمة: إدريس الجاي.

ب-كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة عين الشّق: زرتها يوم الأربعاء 24 أكتوبر صباحا، وهي تقع في عمالة مقاطعة عين الشّق إحدى عمالات مقاطعات الدّار البيضاء. لم ألتق برئيس شعبة التّاريخ بسبب غيابه. بحثت عن مكتب أو مكتبة لبيع الكتب فلم أعثر على مبتغاي. وبينما أنا أتجول بين قاعات الكليّة وأروقتها لاحظت تجمعا للطلبة والأساتذة، اقتربت من المكان، فإذا هو يوم دراسي حول: "تمكين التّواصل العمومي لتنمية المشاركة المواطنة"، وقد صادف عقد اليوم الدّراسي اليوم العالمي للإعلام والتّنميّة(24 أكتوبر). دخلت القاعة قبل بداية النّدوة، وبعد برهة انطلقت الأشغال في السّاعة التّاسعة والنّصف. كان برنامجها كالتّالي: 1-كلمة عبد

العالي مستور التّرحيبيّة. 2-كلمة عبد اللّطيف إيغزو نائب/ رئيس جامعة الحسن الثّاني(نيابة عن الرّئيس المتغيب). 3-كلمة عميد كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة عين الشّق. 4-كلمة أولاف مدير مؤسّسة فريديريش نومان الألمانيّة،(Fur Die Freiheit)، وهي مؤسّسة سياسيّة تقيم بالمغرب منذ سنة 1969م. (شريك ألماني في فتح تخصّص علم الاتّصال بالرّباط)، وهي المسمّاة: Fondation Friedrich Naumann pour la liberté

5-كلمة الحسن الحبيبي منسق مسلك الصحافة والإعلام الذي أعلن عن فتح ماستر جديد بعنوان: "الاستقصا" أو التّحقيق. 6-كلمة محمّد بن عبد القادر –الوزير- وهو باحث في الوقت نفسه، كما أشار إلى ذلك مقدم النّدوة. وقد تمّ تقسيم اليوم الدّراسي إلى جلستين بعد العرض الافتتاحي:

1-**العرض الافتتاحي**: للسّيد وزير إصلاح الإدارة والوظيفة العموميّة الأستاذ: محمّد بنعبد القادر تحت عنوان: "الإعلام والتّنميّة والإستراتيجيّة الحكوميّة للتّواصل العمومي".

2-**الجلسة الأولى**: "المرجعيّات الدّوليّة والوطنيّة للتّواصل العمومي وآلياته وأدواره الدّيمقراطيّة والتّنمويّة" .

3-**الجلسة الثّانيّة**: شروط ومسؤوليات تمكين التّواصل العمومي لتنمية المشاركة المواطنة(أدوار الحكومة- الجماعات التّرابيّة- المجتمع المدني- الإعلام).

4-**الجلسة الختاميّة**: نتائج اللّقاء وتوصياته وآليات المتابعة.

وقد أجمع جلّ المتدخلين على أنّ اللّقاء مدني أكاديمي يهمّ تعزيز النّقاش العمومي والاجتهاد حول شروط ومسؤوليات تطوير التّواصل العمومي وأدواره الدّيمقراطيّة والتّنمويّة، ومساهمته في النّهوض بالإصلاح الإداري ونجاعة وشفافية ونزاهة المرافق العموميّة، وتمكين ثقة المواطنين والمواطنات ومشاركتهم. وقد وزعت أثناء اللّقاء مطبوعة صادرة عن المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي (المغربي) عنوانها: "المعطيات المفتوحة، تحرير المعطيات العموميّة في خدمة النّمو والمعرفة" .

6-المكتبات الخاصّة بالدّار البيضاء: لم أتمكن من التّعرف سوى على المكتبات التّاليّة:

أ-مكتبة فارير(Farrarre) تقع بشارع محمّد الخامس رقم 361، وهو شارع جدّ متسع يمرّ به المترو. **ب-مكتبة** ثانية تقع بالشّارع نفسه (محمّد الخامس) رقم 199.

ج-مكتبات حي الأحباس: تقع بجوار القصر الملكي، وهي سوق للكتب تتكون من متاجر فسيحة بجوار بعضها البعض، تعتبر من أكبر مكتبات مدينة الدّار البيضاء، جلّ كتبها حديثة.

7-حي الاحباس: خصّصنا يوم الثّلاثاء 23 أكتوبر للتّسوق من حي الأحباس(سوق كَازَا)، وهو عبارة عن مساحة كبيرة من المباني جنوب وسط المدينة، بالقرب من القصر الملكي. به سوق كبيرة لمختلف السّلع وبخاصّة الملابس، وهي لمختلف الأعمار، وهو يلي سوق باب مراكش بالمدينة القديمة في الأهميّة، وإنْ كان أرخص منه بحسب رواده من الجزائريّين. يتميز الحي بوجود مبان كبيرة تعود إلى عهد الحماية الاستعماريّة. تتراكم فيه السّلع داخل المحلاّت وخارجها، يقف أمامها التّاجر ومساعدوه مرحبين برُواد المتجر، يفتحون السّلع ويسلمونها للبائع من أجل الاختيار، ولا يتبرمون إن هو غادرهم دون ابتياع شيء ممّا عرض عليه. ينقسم التّجار إلى نوعين: منهم من يبيع بالجملة ومنهم من يبيع بالتّقسيط.

<u>نحو مدينة مراكش:</u> أقلعنا من محطّة الدّار البيضاء الميناء(Casa Port) يوم الأربعاء 17 أكتوبر صباحا في اتّجاه مدينة مراكش(المسافة 243كم. بـ95 درهم للفرد الواحد). انطلق بنا القطار في السّاعة(11,08) نزلنا بمحطّة الدّار البيضاء مسافرون(Casa voyageurs) لنغير المسار، ونستقل القطار القادم من مدينة الرّباط في اتّجاه مدينة مراكش. تأخّر القطار ساعة كاملة -ربّما بسبب تداعيات انحراف القطار المكوكي الرّابط بين مدينتي الرّباط والقنيطرة في منطقة بوقنادل، يوم الثّلاثاء 16 أكتوبر، ذلك الانحراف الذي أودى بحياة 7 من الرّكاب وإصابة حوالي 125 جريح(الصحافة المغربيّة).

كانت المناظر الطبيعيّة تمرّ من حولنا مختلفة، إنّها طبيعة شبه جافة: بقايا الحصاد، أراض لم تقلب بعد، أغنام وماعز في الأفق. **مررنا بالمحطّات التّاليّة:** وازيس(Ouasis)- بَرْشيد- سْطاتْ- بَن جْرير. **ومن أبرز مآثر المدينة ما يلي:**

1-ساحة جامع الفْنا: وصلنا مدينة مراكش السّاعة 14,30 زوالا، في المحطّة الرّئيسيّة، ومنها امتطينا الحافلة التي أوصلتنا إلى المدينة القديمة بالقرب من ساحة جامع الفنا. حطينا متاعنا في أحد الفنادق، ثمّ خرجنا لنتجول في هذه السّاحة، التي بدأت تنشط من خلال قدوم التّجار المتنقلين كمحضري المشروبات السّاخنة والباردة وطباخي الأكلات الخفيفة التّقليديّة، ليتلوهم مدربو الثّعابين والبهلوانيون ومختلف مقدمي الألعاب... بعد جولة قصيرة عدنا إلى الفندق للاستراحة. وعندما خيم الظلام على المكان عدنا للاطلاع على النّشاطات الشّعبيّة. تتنوع المعروضات في هذه السّاحة، منها على سبيل المثال: مدربو الثّعابين وهم يعزفون على مزامير وعلى الدّف يرقص لها الثّعابين التي يلامسونها بأيديهم ويقبلونها دون خوف- حلقات رواة المغازي- حلقات لبيع الأعشاب- حلقات لبعض الألعاب البهلوانيّة ينشطها شباب يقومون بحركات ملتوية بأجسادهم، يتداول عليها شاب ذكر وبنت أنثى- نساء يقمنّ برسومات على الأيدي والأرجل فيما يدعى بالوشم.. بالإضافة إلى متاجر مثبتة مؤقتا لمختلف المأكولات والمشروبات الشّعبيّة المغربيّة معروضة بشكل يغري بتناولها. تبقى سهرات ساحة جامع الفنا إلى وقت متأخر من اللّيل.

2-جامع الكُتبية: يعتبر من أكبر المساجد بالمغرب، شيد سنة 1150م في عهد الدّولة الموحديّة، يتميز الجامع بالاتساع والارتفاع، ذو سطح خشبي مموج ومئذنة مزخرفة في أجزائها العلويّة. يتوسط الجامع مدينة مراكش القديمة، وهو غير بعيد عن ساحة جامع الفنا، ويتصل بها عبر مساحات دون فاصل بينها. يقع بينهما موقف للعربات التي تجرها الأحصنة (الكاليش) والمُعَدة للركوب، وهي تصطف على مسافة طولية متراصة: عربة خلف أخرى. يقصدها السّياح للرّكوب، لتطوف بهم مختلف المواقع السّياحيّة في المدينة.

صليت المغرب بهذا الجامع يوم الأربعاء 17 أكتوبر، ولاحظت وجود أشغال به، وبعد الاستفسار علمت أنّهم يقومون بطلاء الجامع استعدادا لاستقبال الملك محمّد السّادس يوم الجمعة الموالي(19 أكتوبر) لتأدية صلاة الجمعة فيه[4].

3-كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بجامعة القاضي عياض: ذهبت يوم الخميس 18 أكتوبر باكرا إلى كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بجامعة القاضي عياض بواسطة

طاكسي جماعي في اتّجاه حي الدّاوديات. بحثت عن شعبة التّاريخ لكنّي لم ألتق برئيس القسم. استقبلتني كاتبة الإدارة التي لم أجد عندها الجواب الشّافي عن مناقشات الدّكتوراه فوجهتني إلى المصلحة المختصّة في هذا الفرع. أخبرني مسؤول المؤسّسة أنّ الدّكتوراه لا تحمل المسمّيات القديمة كالتّاريخ القديم والوسيط والمعاصر؛ بل هناك تشارك لمختلف التّخصّصات في هذه الشّهادة. أمّا عروض التّكوين المفتوحة برسم الموسم الجامعي 2019/2018م فهي ثمان تخصّصات **ماستر**: فقه النّوازل المعاصرة- السّوسيولوجيا والتّحولات المجتمعيّة- اللّغة والنّص- دينامية المحاولات الجغرافيّة بالمغرب: الاعداد والتّنميّة التّرابيّة- النّقد العربي القديم وأنساقه ومناهجه- الجبل في تاريخ وحضارة المغرب.

كان اليوم ممطرا لم أتجهز لملاقاة حبات المطر بسبب الجو الصحو الذي أصبح عليه الحال، لكن المناخ تغير بسرعة، فبمجرد وصولي الكليّة بدأت الأمطار في التّهاطل.

في مدينة الرّباط : أقلعنا من مدينة مراكش مساء الخميس 10/18 السّاعة 14,20 وكان الوصول في السّاعة 17 إلى مدينة الرّباط، نزلنا في الفندق المركزي المجاور لمحطّة القطار بشارع البصرة رقم 2، وهو بوسط المدينة. وبهذه المناسبة أستعرض بعض معالم مدينة الرّباط التي تمكنت من التّعرف عليها:

1-جامعة محمّد الخامس: زرت وزميلي مكتبة منشورات جامعة: محمّد الخامس يوم الخميس 18 أكتوبر، حيث استقبلنا موظف المكتب(حميد الزعري)، والمكان قريب من محطّة القطار "المدينة"، وهي المقرّ السّابق لكليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة التي انتقلت إلى مدينة العِرفان، اطلعنا فيها على ما جدّ من كتب ومنشورات جامعيّة، وقد شدّني كتاب حول منطقة توات الجزائريّة عنوانه: "مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها". منشورات: كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرّباط، وهو عبارة عن دكتوراه مطبوعة ناقشها الطالب الباحث: محمّد أعفيف.

ومنها انتقلنا، بالمقرّ نفسه، إلى مكتب الأستاذ: عمر أفا، أستاذ سابق بقسم التّاريخ، عمل وما يزال يعمل كأستاذ مهندس لمشروع تسجيل الرّسائل المناقشة والتي هي في طريق المناقشة والمسجلة بالجامعات المغربيّة، وهو تحت عنوان: "دليل الأطروحات والرّسائل الجامعيّة"، ويبدأ تاريخها من سنة 1961م، وقد أمدني الأستاذ

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

–في سنوات سابقة- بنسخ منها، كما أمّد زملاء جزائريين آخرين ممّن طلب منه ذلك. ويتسّم الأستاذ: عمر أفا بخلق كريم وسخاء كبير، له عدّة مؤلفات بعث معي بعضها لتسلم لمكتبة جامعة وهران. لم يكن لي الحظّ في ملاقاته هذه المرّة، وقد أُخبرت أنّه يأتي إلى المكتب من حين إلى آخر، رغم إحالته على التّقاعد.

والمشروع جدّ ناجح، يُسَهل على الباحثين والأساتذة بعامّة، التّعرف على المواضيع المسجلة، وعلى ما تمّت مناقشته من مواضيع في كليّات الآداب والعلوم الإنسانيّة عبر الجامعات المغربيّة، حتّى لا تتكرّر المواضيع نفسها من جهة، وحتّى يتسنى للباحثين الاطلاع على ما تمّت مناقشته للاستفادة من محتواها.

وزرت الكليّة نفسها الواقعة بمدينة العِرفان، الموجودة في طريق متفرع عن طريق الترام يوم السّبت 20 أكتوبر بواسطة الترام الذي يتوقف عندها في المحطّة النّهائيّة؛ إلاّ أنّ شعبة التّاريخ تتعطّل في هذا اليوم وكذلك معهد الدّراسات الإفريقيّة المجاور للكليّة المذكورة. وقد أخبرت أنّ يومي السّبت والأحد عطلتان للطلبة في المؤسّستين، إلاّ أنّ هناك شعب أخرى لا تتعطّل يوم السّبت، هذا ما لاحظته في كليّة الطّب وكليّة الحقوق المجاورتين.

2-مديرية الوثائق المَلكيّة: تقع بالقرب من صومعة حسّان، حيث يرقد جثمان الملك الرّاحل "محمّد الخامس" وابنيه: الملك الحسن الثّاني والأمير عبد الله. وحيث يوجد مسجد كبير مجاور، تقام فيه الصلوات المفروضة. زرتها يوم الخميس 10/19 مساء. دخلت المؤسّسة وتمكنت من الاطلاع السّريع على بعض الملفات الخاصّة بمراسلات السّلطات المغربيّة مع رجال الثّورة الجزائريّة، كما اطّلعت على بعض الرّسائل الجامعيّة المغربيّة التي تطرّقت موضوعاتها للتّاريخ الجزائري وبخاصّة العلاقات بين البلدين: الجزائر والمغرب عبر العصور. ولم يسمح لي بغير ذلك لوجود شرط تقديم رخصة تسلمها القنصليّة الجزائريّة بالرّباط للباحث الرّاغب في الاطّلاع على الوثائق الموجودة في مديرية الوثائق الملكيّة.

وقد شَغل السّيّد "عبد الوهاب بن منصور" منصب مدير لهذه المؤسّسة منذ سنة 1975م، وفي الوقت نفسه كان قد عُين قبل ذلك مؤرخا للمملكة المغربيّة ورئيسا للدّيوان الملكي منذ سنة 1963م. كما تمّ تعيّينه محافظا لضريح محمّد الخامس في

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

جانفي 1969م. وهو من أصول جزائريّة من مدينة تلمسان، كان أحد رجالات جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين، حيث عمل معلما في مدرسة دار الحديث بتلمسان منذ إنشائها سنة 1937م، وعُين بعدها مديرا لمدرسة الجمعيّة بمدينة ندرومة، التي بقي بها إلى أن تمّ غلقها من قِبل المستعمر سنة 1956م، اتّجه حينها إلى المغرب[5] كنت قد زرت المؤسّسة خلال وجوده مديرا عليها بتاريخ أول أبريل سنة 2008م. وقد أهديته كتابين لمؤلفين جزائريّين، ردّ علي بإهدائه لي كلّ المجلدات الصادرة من كتابه القيّم "أعلام المغرب العربي" وعددها ثمانيّة مجلدات. وقد أدار بن منصور المؤسّسة حتّى وفاته في 12 نوفمبر سنة 2008 م .

3-صومعة حسّان: تقف صومعة حسّان صامدة متمردة على الزّمن، بجوارها بعض أسوار المسجد وسواريه الباقيّة أو المُرمّمة، تعطيك رؤية جميلة تملأ نفسك بالانشراح. شيّدها الموحدون في عهد يعقوب المنصور حوالي سنة 593هـ/1197-1198م. وهي ذات موقع استراتيجي تطلّ من مرتفع على نهر أبي رقراق المار بين الرّباط وسلا، والذي يصبّ في المحيط الأطلنطي. يزور المكان عدد هام من السّياح المغاربة والأجانب.

4-ضريح محمّد الخامس: يقع الضريح بجوار صومعة حسّان، هو عبارة عن مبنى تاريخي ذو قبة خضراء مزخرفة، تمّ بناؤه مؤخرا في عصر العلويّين، أنشئ ليكون مقرًّا لجثمان محمّد الخامس، ويضمّ المكان أيضا جثماني ولديه: الملك الحسن الثّاني والأمير عبد الله. يُطلّ الزّائر على الأضرحة الثّلاثة من عل، حيث يرقد جثمان محمّد الخامس وسط القاعة ويحتلّ جثمان ولديه ركنين من أركانها. ويجلس، أحيانا، قارئ للقرآن وبيده المصحف الشّريف يتلو منه آيات من الذّكر الحكيم بقراءة مغربيّة، وهو جالس قبالة ضريح المرحوم محمّد الخامس[6] .

فمنْ هو **محمّد الخامس** ومن هما ولداه؟ ولد محمّد(الخامس) بن يوسف سنة 1909م بمدينة فاس، تولّى الحكم سنة 1927م بعد وفاة والده. ناضل من أجل تحرير المغرب ووقف إلى جانب حركة التّحرّر ممّا أدّى إلى نفيه من قبل السّلطات الفرنسيّة إلى مدغشقر في أوت 1953م وأعادته هذه السّلطات سنة 1955م تحت ضغط المغاربة، ليتولّى الحكم في المغرب المستقلّ سنة 1956م. واصل عمله في بناء الدّولة الجديدة إلى

تاريخ وفاته سنة 1961م. وقف إلى جانب القضيّة الجزائريّة أثناء الكفاح المسلح ولم يبخل بأي مساعدة من أجل تحرير الجزائر.

أمّا **الحسن الثّاني** فهو الابن الأكبر للملك محمّد الخامس، ولد سنة 1929م وتولّى المُلك بعد وفاة والده سنة 1961م، ساهم مع والده في النّضال الوطني لتحرير المغرب، عمل قائدا للجيش الملكي قبل أن يتولّى الحكم، عُرف بحنكته ودهائه السّياسي، توفى سنة 1999م.

أمّا ابنه الآخر فهو **عبد الله**(مولاي) الابن الثّاني للسّلطان محمّد الخامس، ولد سنة 1935م بالرّباط. عينه شقيقه الحسن الثّاني ممثلا شخصيا له في بعض القضايا؛ إلاّ أنّه غُيِب عن الحياة السّياسيّة للمغرب وما زال مغيبا في التّاريخ المغربي المعاصر، توفى سنة 1983 م.

5-المكتبة الوطنيّة للمملكة المغربيّة: في اليوم 19 من شهر أكتوبر زرت وزميلي أرشيف المغرب الخاص بالصحافة(ملحق المكتبة)، وتمكنّا من الاطّلاع على أعداد من صحيفة العلم لسان حزب الاستقلال المغربي وبخاصّة شهور سنة 1960م، وقد قمت بتصوير عدّة مقالات كتبت عن الثّورة التّحريريّة خلال السّنة المذكورة. كما تمكنت من تصوير مقالات عن إحدى معارك جيش التّحرير الوطني التي كنت قد كتبت عنها، وهي معركة جبل مزي التي وقعت في شهر ماي من سنة 1960م. وصادف ذلك يوم سبت فلم نتمكن من زيارة أرشيف المغرب المجاور(**الخزانة العامّة للكتب والوثائق**)، حيث يتعطّل في هذا اليوم. كنت قد استفدت في سنين ماضية، من مخطوط محمّد بن الحسن الحجوي، كتبه حين كان ممثلا للسّلطان بمدينة وجدة في مطلع القرن العشرين، وقد تحدّث فيه عن الشّيخ بوعمامة وعن الروقي بوحمارة، هذا الأخير الذي ثار ضدّ السّلطان المغربي عبد العزيز، مدعيا أنّه السّلطان الحقيقي الذي سُلب منه المنصب، وذلك عندما كنت أحضر أطروحة الدّكتوراه حول الشّيخ بوعمامة. كما اطّلعت على سؤال للأمير عبد القادر موجّه إلى علماء فاس وجواب هؤلاء على سؤاله حول ما عقوبة من يمتنع عن مدّ العون لشؤون جهاد الكفار الذين غزوا بلاد الإسلام(د: 2617 -13-). وغير بعيد عن أرشيف المغرب توجد المكتبة الوطنيّة(الرّئيسيّة)،

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

وهي لا تتعطّل يوم السّبت، هذا ما لاحظته عندما مررت بها وأنا في طريقي إلى أرشيف الصحافة.

6-الخزانة الحَسنيّة بالقصر الملكي: تقع الخزانة الحَسَنيّة في المشور بالقصر الملكي بالرّباط، تشغل مساحة كبيرة تقع بجوار مسجد السّنة غير بعيدة عن محطّة القطار. تتوفر على ذخيرة كبيرة من المخطوطات النّادرة في مختلف العلوم والمعرفة. يلجأ إليها الباحثون ومنهم الجزائريون، وبخاصّة أساتذة العصور الوسطى الإسلاميّة بعامّة والمغاربيّة بخاصّة. تتوزع محتوياتها على ثلاثة أقسام: -قسم المطالعة. –قسم الوثائق. –قسم المخطوطات والكتب.

تخضع المؤسّسة لحراسة مشدّدة من قبل أعوان الأمن، عكس بقية المؤسّسات العلميّة الأخرى. حيث يمرّ الدّاخل إليها عبر مكاتب لرجال الأمن. يتمّ الولوج إليها بعد ملء استمارة وَرَقيّة، ويحصل الباحث على بطاقة قارئ تمكنه من الدّخول بسهولة في بقية أيّامه.

زرتها في سنين سابقة وكنت قد حصلت من المؤسّسة على مجموعة من الكتب بعد أن أهديت لها مجلّة وكتابا. سلّمني الموظف قائمة من الكتب؛ كي أختار ما أحتاجه منها دون تحديد للعدد الذي أرغب فيه. وتتمثل الهدايا التي سلموني إيّاها في رحلة سابقة، مجموعة من الكتب الخاصّة بفهارس المؤسّسة، وهي موزعة بحسب التّخصّصات.

7-جمعية المؤرخين المغاربة: يقع مقرّها بحي اللّيمون رقم 5(أبو نواس)، تحت إدارة الدّكتور: عبد الكريم كُريَّم. للجمعية مجلّة علميّة محكّمة تعني بالتّاريخ العربي والفكر الإسلامي، تسمّى: "التّاريخ العربي"، يساهم فيها ماديا المرحوم الشّيخ زايد بن سلطان آل نهيان أمير دولة الإمارات العربية المتّحدّة.

زرت الدّكتور: كرَيَّمْ مرتين رفقة الأستاذ: عبد القادر بوباية في سنوات مضت، وقد أحسن استقبالنا وأمّدنا ببعض الأعداد من مجلّة "التاريخ العربي"، كما لم يبخل علينا ببعض مؤلفاته، منها كتابا: "المغرب في عهد الدّولة السّعديّة"، وكتاب: "مناهل الصفا في مآثر موالينا الشّرفا" لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي(2005) وهو من دراسته وتحقيقه، والكتابان من منشورات الجمعيّة. وللجمعيّة مكتبة ثريّة يحرس الأستاذ

على إثرائها. والأستاذ: عبد الكريم كريم من جيل الاستقلال يناقش مختلف قضايا البلاد المغاربيّة وبخاصّة التّاريخ المشترك للبلدين المغرب والجزائر، وما يشوب علاقات البلدين من تشنجات.

8-المندوبيّة السّاميّة لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التّحرير(المغربي): يقع مقرّها بملتقى شارع الحسن بن شقرون وشارع أحمد الشّرقاوي بأكدال الرّباط. تعني بتاريخ المقاومة المغربيّة للحماية الفرنسيّة وتطور الكفاح المسلح بقيادة جيش التّحرير المغربي. ويبرز ذلك من خلال مجلّة نصف سنوية تصدر عن هذه المندوبيّة، تدعى: "الذّاكرة الوطنيّة"، ويغلب على المجلّة تخصّص كلّ عدد بملف معين. من ذلك مثلا أنّ العدد 13 لسنة 1430هـ/2009م يحمل عنوان: "وحدة المغرب العربي الكبير في ذاكرة الأحزاب وحركات التّحرير والمقاومة المغاربيّة"، كما يحمل العدد 19 لسنة 1433هـ/2012م عنوان: "أشغال النّدوتين العلميتين: أ-انطلاق عمليات جيش التّحرير بالشّمال سنة 1955م: مرحلة تاريخيّة من الكفاح الوطني. ب-جيش التّحرير المغربي النّشأة والمسار.

يوضح الدّكتور: مصطفى الكتيري، المندوب السّامي لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التّحرير (المغربي) أهداف المجلّة بقوله -في العدد 13 المذكور أعلاه-: أنّ "مجلّة الذّاكرة الوطنيّة وهي تسعى جادة وجاهدة لمقاربة وملامسة المسألة التّاريخيّة بما تقتضيه من توظيف تربوي ومنهجي لأحداث ودروس الموروث التّاريخي من أجل رصد وفهم تجليّات الحاضر، تتطّلع من خلال هذا المنهج في البحث والتّحليل إلى تأهيل البعد التّاريخي في حركيّة المجتمع وسيرورته لبناء وتعزيز دعائمه بما يخدم أهداف التّقدّم ورفعة الوطن" .

9-صلاة الجمعة بالرّباط: تصادَف يوم 19 أكتوبر يوم جمعة ونحن في مدينة الرّباط، فصلّينا صلاة الجمعة بجامع السّنّة المجاور لمحطّة القطار بالرّباط. بدأت الجمعة بالآذان الأوّل أمّا الآذان الثّاني السّابق للخطبة فهو ثلاث آذانات كما كان الأمر عندنا في الجزائر في عقد السّتينيّات والسّبعينيّات من القرن العشرين. وبعد نهاية الآذان الثّالث قام أحد المُسَمعين ليلقي دعاء يسبق الخطبة، ممّا كان متداولا عندنا من سرد للحديث التّالي: ذكر فيه عن مالك عن أبي الزّناد عن الأعرج عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: "إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ أَنْصِتْ والإِمَامُ

يخْطُب يومَ الجمُعَة فَقَدْ لَغَوْتَ". وفي حديث آخر " مَنْ مَسَّ الحَصَى فَقَدْ لَغَى ومَنْ لَغَى فَلاَ جُمُعَة له... "، وقد تلا خطبتي الجمعة الدّعاء للمسلمين ولأئمّتهم، وخصّ الإمامُ الملكَ المغربي الحالي محمّد السّادس بكثير من دعائه. كان الإمام يدعو والمصلون يؤمنون بعده، لتبدأ الصلاة وهي ركعتا الجمعة التي انتهت بالدّعاء الختامي والصّلاة على النّبي.

ومن الأماكن الأخرى التي اطّلعنا عليها في مدينة الرّباط هذه المرّة أذكر ما يلي:

1-المعرض الجهوي للكتاب بالرّباط: ظهر تحت شعار "الرّباط مدينة الأنوار"، انعقد في الفترة ما بين 19 و25 أكتوبر في دورته التّاسعة داخل خيام صغيرة الحجم، وهو من تنظيم وزارة الثّقافة بمشاركة مجلس المدينة التّابع للعمالة. زرناه أكثر من مرّة لوقوعه في الطريق إلى المدينة القديمة بالرّباط. أقيم المعرض بساحة جدّة التي تتفرع عنها زنقة وجدة، وتجاور السّاحة شارع محمّد الخامس على يمين المتجه نحو المدينة القديمة. هو معرض لبعض دور النّشر المغربيّة، وهو معرض محلّي بسيط.

2-مكتبات الرّباط الخاصّة: لم أستطع الاطّلاع سوى على المكتبات الخاصّة التّاليّة:

أ-مكتبة دار الأمان: تقع بساحة المامونيّة رقم 4 بالقرب من السّويقة(المدينة القديمة). وهي أفضل مكتبة في المغرب لما تحويه من تنوع في التّخصّصات وفي العدد الهائل من الكتب. لا يمكن لزائر مدينة الرّباط إلاّ أن يمر بهذه المكتبة الثّريّة.

ب-مكتبة كليلة ودمنة: تقع بشارع محمّد الخامس غير بعيد عن مقرّ البرلمان.

ج-مكتبة المعرفة: وتقع بالسّويقة داخل المدينة القديمة بجوار شارع الحسن الثّاني.

د-مكتبة عالم الفكر: لصاحبها يحي العلمي، هي غير بعيدة عن المدينة القديمة، وتقع بشارع علال بن عبد الله. تتبعها دار نشر تدعى: دار أبي رقراق للنّشر والتّوزيع، وتقع بـ 3 شارع العلويّين بالرّباط. قام الأستاذ: بوباية عبد القادر بطبع باكورة كتبه بها، من خلال طبعه لكتاب "مفاخر البربر" وهو لمؤلف مجهول، تمّت الطبعة الأولى سنة 2005م، وبعد اكتشاف اسم صاحب الكتاب(صالح بن عبد الحليم إيلانه –هيلانه- المصمودي، المتوفى بعد سنة 712هـ/1312م) تمّ نشر الكتاب في طبعته الثّانيّة سنة 2007م بدار النّشر نفسها[7].

هـ-معروضات الشّارع: هي عبارة عن أكشاك تقع على جنبات الشّوارع الكبرى، تعرض محتوياتها من الكتب والمجلاّت والجرائد على قارعة الطريق. ما يميز هذه المتاجر عن المكتبات العاديّة هو انفتاحها أمام القارئ دون حاجة إلى تصفحها والبحث داخل الرّفوف، كما أنّها تعرض الجديد من المؤلفات. ورغم أنّ أساس وجودها هو الجرائد والمجلاّت، إلاّ أنّها تعرض العديد من الكتب في مجالات مختلفة كالسّياسة والتّاريخ والقانون والرّوايات. وقد تحوي أحيانا كتبا تراثيّة تخلّى عنها أصحابها لتُعْرض مع بقية المعروضات.

<u>في اتجاه مدينة الدّار البيضاء</u>: أقلعنا من مدينة الرّباط يوم الأحد 10/21 في اتجاه الدّار البيضاء، عدنا إلى الفندق نفسه الذي نزلنا به أوّل مرّة يوم 15 أكتوبر. أكملنا في المدينة ما بقي من أعمال كالتّسوق في حي الحبوس وفي المدينة القديمة، كما زرت جامعة الحسن الثّاني بعين الشّق، وكذلك زرت مؤسّسة الملك عبد العزيز آل سعود للدّراسات الإسلاميّة والعلوم الإنسانيّة، وتجولنا في شوارع المدينة الحديثة والقديمة.

<u>مدينة فاس والعواصم المغربيّة</u>: لم تتح لي الفرصة لزيارة مدينة **فاس** هذه المرّة ولكنّي كنت قد زرتها سابقا، مرّة رفقة الأستاذ: بوباية عبد القادر ومرّة أخرى رفقة الأستاذ: بوداود عبيد، وزرتها أكثر من مرّة بمفردي. وأغتنم هذه الفرصة للحديث عن عواصم المغرب الأُقصى، ومدينة فاس هي إحداها. فقد تأسّست مدينة فاس كعاصمة للدّولة الإدريسيّة على يد إدريس الثّاني ابتداء من سنة 182هـ/789م، ثمّ اتّخذها بنو مرين عاصمة لمُلكهم ابتداء من سنة 1269م بدلا من مراكش، بعد انتصارهم على الدّولة الموحديّة، وجاء بعدهم العلويون سنة 1649م ليجعلوها عاصمة لهم، واستمرّ هذا الوضع إلى أن وقع المغرب تحت سلطة الاحتلال الفرنسي(الحماية) سنة 1912م لتنقل العاصمة من فاس إلى **الرّباط**. وهي اليوم قسمان: فاس الجديد وفاس البالي.

وقبل ذلك كانت مدينة **مراكش** هي عاصمة المغرب الأقصى، فقد أسّسها يوسف بن تاشفين سنة 1062م كعاصمة للدّولة المرابطيّة، وجاء بعدهم الموحدون واتخذوها عاصمة لهم هم أيضا، حتّى سقوط دولتهم بيد المرينيّين. وقد شاع اسم مراكش كبلد

وليس كعاصمة فقط. وهناك من الكُتاب المشارقة ممّن لا يزال يسمي المغرب الأقصى بمراكش.

أ-معهد الدّراسات المصطلحيّة: كنت قد زرت مدينة فاس سنة 1999م بعد أن حصلت على رسالة استقبال من مدير معهد الدّراسات المصطلحيّة الأستاذ البوشيخي الشاهد[8] والمعهد مؤسّسة للبحث العلمي، متخصّصة في البحوث والدّراسات المصطلحيّة، تابعة لكليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بظهر المهراز جامعة: سيدي محمّد بن عبد الله. تأسّس المعهد سنة 1993م، بهدف إنجاز "المعجم التّاريخي للمصطلحات العربيّة"، ويهدف المعهد في قانونه الأساسي إلى العناية بكلّ ما يؤدي إلى تطوير البحث العلمي في المصطلح، نظريات، ومفاهيم، ومناهج ووسائل.. في التّاريخ والواقع معا[9].

كانت لي الفرصة في لقاء أستاذ العلوم الشّرعيّة: البوشيخي أحمد أخ الأستاذ الشاهد، دعاني إلى منزله، بعد أن أقعده المرض، وصار يستقبل طلبته في منزله. أخبرني أنّه زار مدينة وهران في عهد الشّيخ الزّبير مدير الشّؤون الدّينيّة بولاية وهران في إطار الملتقيات التي كانت تنظمها وزارة الشّؤون الدّينيّة. ويحمل الأستاذ ذكرياتًا جميلة عن تلك الزّيارة وعن الشّيخ الزّبير رحمه الله[10].

ب-جامع القرويّين: هو جامع وجامعة في الوقت نفسه، وهو من أقدم الجامعات الإسلاميّة(تأسّس في القرن التّاسع الميلادي)، أدّى دورا كبيرا في مجال العلم والمعرفة، قصَده العلماء للتّعليم وطلاب العلم للتّعلّم، جاءوا من كلّ حَدَب وصوب. وبهذا المَعلم أصبحت فاس مركزا دينيا وعلميا. وبقي الجامع والجامعة الملحقة به مركزا للنّشاط الفكري والثّقافي والدّيني قرابة الألف سنة. وتضمّ الجامعة مجموعة من الكليّات: كليّة الشّريعة في كلّ من فاس وأكادير، وكليّة أصول الدّين بتطوان. وتعدّ الجامعة مؤسّسة تعليميّة تابعة لجامع القرويّين[11].

<u>لقاءات مع أساتذة مغاربة في تخصّص التّاريخ :</u> يعتبر اللّقاء بالأساتذة الجامعيّين المغاربة أحد متطلبات هذه الرّحلات العلميّة للتّعرف على ما جدّ في بعض التّخصّصات من أبحاث في بلاد المغرب، وما ينتجه هؤلاء الأساتذة كلٌ في مجال تخصّصه؛ لذلك كنت قد التقيت بالبعض من هؤلاء الأساتذة كلّما حللت بالمغرب. منهم على سبيل المثال لا الحصر: محمّد الشّريف، وجعفر ابن الحاج السلمي، وإدريس

بوهليلة، وآخرون من مدينة تطوان. ومنهم: عمر أفا، وزكي مبارك، وإبراهيم بوطالب، وعبد الكريم كُرَيم، وحسن الصادقي، وعبد الوهاب بن منصور، وبنكري حليمة من مدينة الرّباط. ومنهم: بوشيخي أحمد، وبوشيخي الشاهد، وهاشم العلوي، وعبد الله بن مليح من مدينة فاس، ومنهم: إبراهيم القادري بوتشيش، وبوشتة بوعسرية من مدينة مكناس، وهناك وغيرهم كثير ممّن لا أستطيع تذكر أسمائهم. وقد حصلت منهم على بعض كتاباتهم(عبد الكريم كريّم- زكي مبارك- بوشيخي أحمد- عمر آفا- محمّد الشريف- جعفر السلمي- إدريس بوهليلة- عبد الوهاب بن منصور- بنكري حليمة..) ممّا أثرى مكتبتي الخاصّة، بالإضافة إلى الكتب التي كنت أقتنيها كلّ مرّة ممّا ينشره أساتذة الجامعات المغربيّة في المقرّات المخصّصة للبيع في الجامعة، أو ما حصلت عليه من المكتبات الخاصّة وفي مقدمتها مكتبة دار الأمان بالرّباط[12].

وقد لاحظت رغبة الأساتذة المغاربة في المشاركة في الملتقيات والنّدوات التي تنظمها المؤسّسات العلميّة في الجزائر، وبخاصّة وأنّ هذا المؤسّسات كانت تتكلف سابقا، بكلّ عمليات الملتقيات من نقل وإيواء وإطعام. أمّا اليوم فقد جفّ الضّرع في المؤسّسات العلميّة الجزائريّة، فراحت تشترط على المشاركين في النّدوات التّكفل بمستلزماتهم بأنفسهم، وقد تطلبُ منهم دفع مبالغ ماليّة نظير هذه المشاركة، مثلما كان وما يزال سائرا في البلدان العربيّة المشرقيّة.

وقد زار بعض هؤلاء الأساتذة وغيرهم الجزائر في إطار النّدوات والملتقيات الدّوليّة التي انعقدت في السّنوات الماضيّة، منهم: الأستاذ زكي مبارك، ومحمّد الشريف، وحسن الصادقي، وهاشم العلوي، وإبراهيم القادري بوتشيش، وغيرهم.....

أهمّ دراسة جديدة عن الجزائر: هناك دراسات عديدة عن العلاقات الجزائريّة المغربيّة عبر العصور، فقد مرّ البلدان بتاريخ مشترك، وكان الجوار والنّسب أهمّ أسباب هذا التّشابه، وقد تخصّص بعض الباحثين في التّاريخ المعاصر المشترك(منهم: محمّد أمطاط- عبد الوهاب بن منصور- عكاشة برحاب وغيرهم..). فأمّا الباحث محمّد أمطاط فقد ناقش شهادة الدّكتوراه في موضوع: "الجزائريون في المغرب ما بين 1830-1962م، مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر" بجامعة: محمّد الخامس خلال 2004-2005م، وقد تمّ طبع العمل كتابا سنة 2008م، وحصل صاحبه على الجائزة الأولى

لأحسن أطروحة نوقشت في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بجامعة: محمّد الخامس أكدال الرّباط خلال السّنوات الخمس 2002-2008م، إلاّ أنّ الكاتب فيه تحامل كبير على الجزائريّين، يتطلّب التّعليق والمناقشة، وقد ردّ أحد الأساتذة المغاربة من جامعة تطوان على ذلك بطريقة مغايرة بالتّطرق للدّور الإيجابي الذي قام به الجزائريون المهاجرون في المغرب، وذلك من خلال كتابه: "الجزائريون في تطوان خلال القرن 13هـ/19م، مساهمة في التّاريخ الاجتماعي المغربي" والأستاذ هو إدريس بوهليلة من شعبة التّاريخ كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة جامعة: عبد الملك السّعدي بتطوان تمّ طبع الكتاب سنة 2012م، وقدَّم له الأستاذ: محمّد الشريف من شعبة التّاريخ بتطوان[13].

وهناك باحث مغربي آخر متخصّص في العلاقات الجزائريّة المغربيّة هو عكاشة برحاب، يهتمّ بمسائل الحدود بين الجزائر والمغرب، وله دراساتًا في هذا المجال، منها أطروحته في الدّكتوراه التي نوقشت بالرّباط في 28-2-1997م، بكليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة جامعة: الحسن الثّاني بالمحمديّة تحت عنوان : "المجال الحدودي بين المغرب والجزائر، في مطلع القرن العشرين (1900-1912م)" تحت إشراف الأستاذ: إبراهيم بوطالب، وقد تمّ طبع العمل في كتاب بمطبعة النّجاح الجديدة الدّار البيضاء سنة 2002م.

العودة إلى الوطن: كنّا ننتظر بكلّ لهفة حلول يوم عودتنا إلى الوطن الذي لا يضاهيه وطن بالنّسبة لنا، وحضّرنا أنفسنا ليوم السّفر، من ذلك الاستعلام عن مواقيت إقلاع القطارات من محطّة الدّار البيضاء الميناء(Kasa Port) -حيث كنّا نقيم- في اتجاه المطار، ومنها حزم الأمتعة. كنّا نعرف أنّ موعد إقلاع الطائرة التي ستقلّنا إلى وهران هو السّاعة الخامسة من مساء يوم الخميس 25 أكتوبر 2018م، وبعد أن علمنا أنّ القطارات التي تقلع من الدّار البيضاء في اتجاه المطار ستكون كلّ ساعة؛ أيّ كلّ ستين دقيقة؛ اخترنا توقيت الحادية عشرة وثمان دقائق، ليكون لنا متسعًا من الوقت للمرور بمختلف الإجراءات في المطار؛ وحتّى نضمن وصولنا إلى المطار تلافيا لأيّ طارئ قد يحدث في الطريق، ممّا هو ليس في الحسبان.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

لم نخطئ عندما وصلنا المطار باكرا، فقد كانت الإجراءات عديدة، زادها كثرة المسافرين ممّا نتج عنه تعدّد الطوابير. استخرجنا ورقة الدّخول(Billet d'accès). لم تكن لنا أمتعة ثقيلة لنضعها ضمن الأمتعة(Bagages) التي تشحن منفصلة عن الرّكاب، وولجنا ممرّ الدّخول بحقائبنا اليدويّة. مررنا بالمراقبة الأمنيّة التي تتطلّب نزع كلّ ما هو معدني كالسّاعة والهاتف النّقال والحزام وقطع النّقود إلى جانب المعاطف والأحذية وأغطية الرّأس إن وجدت، وجلسنا ننتظر توقيت الإقلاع.

دخلنا من أحد الأبواب التي تؤدّي إلى الطائرة الجزائريّة، قبل الموعد بقليل، بعد أن تمّ تسجيل ذلك على اللّوحات الإلكترونيّة المنتشرة على مساحات قاعات المطار. ركبنا طائرة الخطوط الجويّة الجزائريّة وانطلقت بنا تشقّ فضاء المغرب في اتجاه مدينة وهران بالجزائر.

الهوامش:

1-من أجل معرفة المزيد، ينظر: يوميات طفل مهاجر. من كتابنا: "محطّات من تاريخ الجزائر المجاهدة"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010.

2-من المعاينة وعن: موقع الموسوعة الحرّة: ar.wikipedia.org بتاريخ 10 نوفمبر 2018 .

3-مطوية صادرة عن مؤسّسة الملك عبد العزيز آل سعود للدّراسات الإسلاميّة والعلوم الإنسانيّة، حصلنا عليها من موظف مكتب الاستقبال صبيحة يوم الاثنين 22 أكتوبر 2018م، متكونة من إثنى عشر(12) صفحة، عبارة بها كتابات وصور.

4-تجد مئذنة الجامع في الملحق.

5-محمّد الحسن فضلاء، المسيرة الرّائدة للتّعليم العربي الحرّ، القطاع الوهراني، دار: الأمّة للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر 1999، ص ص: 72-76؛ (بن منصور من مواليد 17-11-1920م).

6-من مشاهداتي للمكان عدّة مرّات ومنها هذه المرّة(أكتوبر 2018م) عندما زرت مديرية الوثائق المغربيّة.

7-عبد القادر بوباية، أستاذ: تعليم عالي بقسم التّاريخ جامعة: وهران1 أحمد بن بلّة، المقابلة بالجامعة نفسها في 20 جانفي 2019 م .

8-كان الحصول على رسالة استقبال من مؤسّسة علميّة، أو جامعة أجنبيّة أهمّ شرط للحصول على منحة التّربص القصير المدى، وكان الأستاذ الجزائري يجد صعوبة كبيرة في الحصول عليها. وقد تمّ الاستغناء عنها مؤخرا من قبل وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، وبذلك حلّت هذه العقدة المشئومة.

9-من كتيب صادر عن المعهد سنة 1420هـ/1999م حصلنا عليه خلال زيارتنا المذكورة آنفا.

10-عائلة البوشخيّين من أصول جزائريّة من أولاد سيدي الشّيخ، هاجر جدّ الأستاذين(الشّاهد، وأحمد) رفقة أنصار الشّيخ بوعمامة عندما التجأ هذا الأخير إلى المغرب(1902-1908م)، بعد أن ضاقت عليه السّبل في مواجهة السّلطات الاستعماريّة الفرنسيّة.

11-ينظر موقع: ar.wikipedia.org/wiki سجل يوم 26 جانفي 2019 السّاعة 22 مساء.

12-سلمتني الأستاذة: بنكرعي حليمة من كليّة الآداب بالقنيطرة كتيبا عنوانه: "قبائل عرب سايس ما بين الرّوايّة الشّفويّة والمصادر الموثقة (1832-1912) صادر عن دار :السّلام بالرّباط 1999. تتحدّث فيه عن سكان هذه البلدة (تقع بلدة عرب سايس على بعد 60 كم من فاس و30 كم عن مدينة مكناس)، وهم من أصول جزائريّة: (أولاد سيدي الشّيخ- العمور- أهل الأغواط- الرّزيقات- أولاد سيدي يحي)، إلاّ أن الأستاذة تحاول في هذه الدّراسة إثبات أنّ هؤلاء مغاربة رغم المسيرة التي ساروا فيها.